



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

الحوار الاستراتيجي العراقي - الأمريكي (تساؤلات لا بد منها)

أحمد مطر



سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا معقدة تمّم الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبر عن رأي كُتابها.

حقوق النشر محفوظة © 2020

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

الحوار الاستراتيجي العراقي-الأمريكي (تساؤلات لا بد منها)

أحمد مطر *

ملخص

انطلقت في العاشر من حزيران 2020 أعمال الحوار الاستراتيجي بين العراق والولايات المتحدة على مستوى الفنيين والخبراء، على أن تحتتم أعمالها في شهر آب على مستوى القمة (رئيس الوزراء العراقي، والرئيس الأمريكي).

ويكتسب الحوار الاستراتيجي بين البلدين أهمية فريدة لعدة أسباب أهمها: التوقيت، والظروف، والأوضاع المصاحبة له والمتمثلة بالأزمة الاقتصادية الناجمة عن جائحة كورونا، وهبوط أسعار النفط، وتشكيل حكومة عراقية جديدة بعد تظاهرات شعبية انطلقت في تشرين الثاني من العام الماضي؛ احتجاجاً على الفساد، وسوء الأوضاع الاقتصادية، وتردي الخدمات، والبطالة. والأهم من ذلك أن الحوار الاستراتيجي سيضع الأساس لشكل العلاقات العراقية-الأمريكية وطبيعتها لمدة قادمة من الزمن.

لذا، على صانع القرار العراقي -وقد شرع بالحوار مع الولايات المتحدة- أن يستحضر تجربة سقوط الموصل وآثارها التي ما زلنا نعاني تبعاتها. فالموصل ما تزال تنتظر إعادة إعمارها، وأهلها يسكنون المخيمات في ظروف بائسة. والأهم من ذلك الدماء والتضحيات التي رافقت سقوط الموصل وتحريرها، والأموال التي أنفقت على حرب التحرير. إن استحضار هذه التجربة التي حدثت بالأمس القريب يجب أن يكون بوعي وألا يُستبعد حدوثها مرة أخرى.

* دبلوماسي بدرجة سكرتير ثان في وزارة الخارجية العراقية.

وأن يؤخذ بالحسبان أن الحوار الاستراتيجي قد يكون الفرصة الأخيرة¹ لإنقاذ العلاقات الأمريكية-العراقية وترميمها بعد أكثر من عامين من تدهورها بين البلدين، تدهور تسبب في ظهور العراق بدوائر صنع القرار في واشنطن بصورة الحليف السابق الجاحد وغير الجدير بالمساعدة مستقبلاً.

عندما غزت ألمانيا النازية الاتحاد السوفيتي في حزيران عام 1941، رحب رئيس الوزراء البريطاني حينها ونستون تشرشل بالتحالف مع الاتحاد السوفيتي ضد ألمانيا النازية؛ مما أثار استغراباً في أوساط العارفين بشدة عداء تشرشل ومقتته للاتحاد السوفيتي، فقال رداً على هؤلاء جملته المشهورة: «سأتحالف مع الشيطان إن تطلب الأمر» مشيراً إلى المصلحة العليا للدولة.

وتجدر الإشارة إلى أن أهم ما يعترض هذا الحوار من صعوبات هو علاقات التحالف التي تربط العراق بالجمهورية الإسلامية الإيرانية من جهة، والصراع الأمريكي-الإيراني من جهة أخرى²؛ وبالتالي فإننا وبمجرد الشروع في الحوار الاستراتيجي قد نتحول في عيون الإيرانيين إلى أمريكيين، والولايات المتحدة من جهتها ما تزال لديها شكوك تدعوها -بحكم التأثير الإيراني في العراق- إلى النظر إلينا على أننا إيرانيون؛ الأمر الذي قد يندرج بتحوّل الحوار بين بغداد وواشنطن، إلى حوار بين طهران وواشنطن بشأن العراق وعندها سينطبق علينا المثل الفرنسي: «إذا لم تكن حاضراً على الطاولة؛ فأنت على قائمة الطعام».

لذا، سيكون على صانع القرار العراقي (ولاسيما بعد تشكيل حكومة السيد الكاظمي التي كان التأثير الخارجي في تشكيلها محدوداً إن لم يكن معدماً في سابقة هي الأولى من نوعها بعد عام

1. John Hannah , Maseh Zarif : The U.S.-Iraqi Relationship is coming to a head – and that’s a good thing, foreign policy, may 4, 2020.

2. Vanda Felbab-Brown: Stuck in the middle: Iraq and the enduring conflict between United States and Iran, BROOKINGS Institute January 29 2020 .

انظر أيضاً: د. كزار أنور البديري: اختبار طهران - إيران والحوار الاستراتيجي بين بغداد وواشنطن، مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد 13 حزيران 2020، <https://www.bayancenter.org/2020/06/6111>

2003) أن يقوم عملياً بإقناع الجانب الإيراني بأننا لسنا أمريكيين، وإقناع الجانب الأمريكي بأننا لسنا إيرانيين، بل إننا عراقيون، لنا مصالحنا الخاصة، وعلى الطرفين احترام السيادة العراقية، وقبول حقيقة أن مصالح العراق لا تتوافق -بالضرورة- على طول الخط مع المصالح الإيرانية أو الأمريكية.

عصف ذهني لصانع القرار العراقي

على صانع القرار العراقي أن يدرك ثلاث حقائق:

أولاً: إن معظم التحالفات الأمريكية في المنطقة تعود إلى حقبة الحرب الباردة، وبنيت على أسس تلك الحقبة وضرورتها، وبعد مضي ثلاثة عقود على نهاية الحرب الباردة فإن أسس هذه التحالفات قد تآكلت؛ ما أدى إلى تصدعها؛ الأمر الذي يجعل الولايات المتحدة بحاجة إلى شبكة تحالفات تتلاءم والحقائق الجيوسياسية الجديدة في الشرق الأوسط³.

ثانياً: يعيش العراق وسط جيران أقوياء ثلاثة منهم (إيران، وتركيا، والسعودية) وهي دول قوية تتنافس على السيادة الإقليمية. وعلى صانع القرار العراقي أن يستقر ذهنه على جعل العراق نداً لهذه القوى وإلا سيكون العراق ساحة وأداة لتنافس هذه القوى الثلاث وبكلف باهظة⁴.

ثالثاً: الأهم من كل ما سبق هو أننا بصدد الحوار -والتحالف إن أحسنا إدارة الحوار

3. انظر بشأن التحالفات المتغيرة في الشرق الأوسط:

Shifting Alliances in the middle east, 1918. FOREIGN POLICY ASSOCIATION, 2016. www.fpa.org/great-decision-2016.

4. في التحديات التي يفرضها التنافس الإيراني السعودي على العراق انظر على سبيل المثال:

Kevin Newton: An awkward triangle: Iraq, Iran and Saudi Arabia, the Middle East Institute, Washington 23 may 2019, www.mei.edu.

فضلاً عن القصف التركي المتكرر والعمليات العسكرية التي تشنها تركيا داخل الأراضي العراقية التي لن تكون آخرها عملينا «مخلب النسر»، و«مخلب النمر» اللتان أطلقتها تركيا داخل الأراضي العراقية في حزيران ضد عناصر حزب العمال الكردستاني.

الاستراتيجي- مع قوة عظمى تمتلك الكثير من مفاتيح الحرب والسلام في المنطقة والعالم، فمن الضروري معرفة كيف تفكر هذه القوى العظمى وكيف تتفاوض⁵.

وبعد أخذ هذه الحقائق الثلاث بالحسبان لا بد من طرح تساؤل مفاده: هل العراق بوضعه السياسي الراهن وبقدراته الاقتصادية والعسكرية الحالية قادر على الصمود بوجه المتغيرات الجارية الآن التي تنذر ببدء صفحة جديدة من صفحات تشكيل الشرق الأوسط الجديد؟ وإذا كان الجواب (نعم)؛ فبالتالي لا حاجة بنا إلى التحالف مع الولايات المتحدة، وسيكون علينا طرح تساؤل آخر: كيف سيكون رد الفعل الأمريكي إذا ما طلب العراق مغادرة القوات الأمريكية أرض العراق؟ ولكي نبنى تصوراً أولياً عن رد الفعل الأمريكي في ظل هذا السيناريو يكفي أن نسأل: ماذا تريد الولايات المتحدة من العراق؟

من ليس معي فهو ضدي!

سنبدأ الإجابة عن هذه الأسئلة انطلاقاً من السؤال الأخير: ماذا تريد الولايات المتحدة من العراق؟ لا بد من الإشارة ابتداءً إلى أن التحالفات الأمريكية في المنطقة تمر بأزمة، وهذا يعود إلى تآكل أسس التحالفات الأمريكية في المنطقة التي تعود في معظمها إلى حقبة الحرب الباردة كما أشرنا، إذ لم يعد التهديد السوفيتي قائماً، ولم تعد مصالح الحلفاء منسجمة. تركيا على سبيل المثال، ثاني أكبر قوة عسكرية في حلف الناتو، وجدت نفسها في أكثر من مناسبة في أزمة ومواجهة مع الولايات المتحدة؛ بسبب تدخلها في سوريا⁶، أو شراءها منظومات أسلحة روسية! والتحالف الأمريكي-السعودي ليس بأفضل حال، فالكونغرس الأمريكي في عدة مناسبات شرع قوانين قاسية

5. د. كرار أنور البديري: كيف يتفاوض الأمريكيون؟ مركز البيان للتخطيط للدراسات، بغداد، 9 حزيران 2020.

<https://www.bayancenter.org/2020/06/6107/>

6. Adam Taylor: uncomfortable facts at the heart of U.S- Turkish relationship, The Washington Post, October 15, 2019. www.washingtonpost.com .

وصارمة بحق السعودية رداً على ما يراه سلوكيات سعودية أضرت بمصالح الولايات المتحدة، وكان من مظاهر تصدع التحالف الأمريكي-السعودي، المكاملة الهاتفية مؤخراً بين الرئيس ترامب وولي العهد السعودي محمد بن سلمان هدد فيها ترامب بسحب منظومة الباتريوت إذا لم تنته المملكة عن سياسة إغراق الأسواق بالنفط التي تسببت في إفلاس شركات النفط الصخري الأمريكية⁷.

لذا، فإن الحوار الاستراتيجي قد يكون مقدمة لصياغة تحالف استراتيجي عراقي-أمريكي في المنطقة على أسس تتلاءم والمتغيرات الجديدة في الشرق الأوسط والعالم. ففي منطقة الشرق الأوسط ما يزال منطلق اللعبة الصفيرية⁸ هو السائد (ما يكسبه خصمي خسارة لي)؛ وبالتالي فإن القاعدة التي ستحكم السياسة الإقليمية والدولية في الشرق الأوسط (من ليس معي فهو ضدي). وانطلاقاً من هذا الإدراك سيكون علينا الاختيار إذن بين أن نكون حلفاء للولايات المتحدة والاستفادة من مزايا التحالف والقيام بواجبات الحليف، أو خصوماً لها وتحمل تبعات الخصومة معها، وهو ما سنعرفه لاحقاً.

الحليف الواعد!

بالعودة إلى أهداف الولايات المتحدة ومصالحها في العراق، ففي ظل التغييرات التي أصابت منظومة التحالفات الأمريكية في المنطقة، وبالنظر لما يتمتع به العراق من موقع جغرافي حيوي وقدراته الكامنة (غير مستغلة) الاقتصادية والبشرية، تسعى الولايات المتحدة إلى تحويل العراق لحليف قوي يعتمد عليه في مواجهة التغيرات الجارية في المنطقة، ولاسيما بعد الاختراق العسكري الروسي لمنطقة الشرق الأوسط لأول مرة منذ الحقبة القيصيرية وتأسيسها لوجود عسكري طويل الأمد (لمدة 49

7. Josie Ensor: US removes patriot antimissile system from Saudi Arabia amid oil dispute, The Telegraph, 7 may 2020. www.telegraph.co.uk

8. Micaela Hudson : Middle East Policy: A zero-sum game , Aljazeera, 17 August, 2011. www.aljazeera.com

عاماً قابلة للتمديد)⁹ في سوريا المجاورة للعراق، فضلاً عن أن الصين المتعطشة للنفط احترقت المنطقة اقتصادياً، وباتت قاب قوسين أو أدنى من الهيمنة عليها اقتصادياً.

وقد يسأل سائل: إذا كانت الولايات المتحدة ترمي إلى تحويل العراق إلى حليف استراتيجي، لماذا كانت جزءاً من الفوضى؟ للإجابة عن هذا التساؤل يجدر بنا أن نذكر أن الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية ضرت اليابان قبلتين ذريبتين ما تزال تعاني من آثارها، وأقرت خطة الحلفاء باعتماد القصف الاستراتيجي ضد ألمانيا إلى درجة أن مدينة درسدن الألمانية بقيت تحترق لمدة سبعة أيام من شدة القصف. لقد كان مرد هذا الإمعان في التدمير -من وجهة نظر أخرى- إلى عدم تأكد الولايات المتحدة من اتجاه هاتين الدولتين بعد انتهاء الحرب، ومع أي من القوتين (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي) اللتين ظهرتتا بعد الحرب العالمية الثانية ستتحالف اليابان وألمانيا، ولاسيما أن بوادر الصراع بين القوتين في حينها بدأت بالظهور في الستينين الأخيرتين للحرب.

بعد أن تأكدت الولايات المتحدة من توجه اليابان وألمانيا (الغربية آنذاك) واختيارها التحالف مع الولايات المتحدة بدأت الأخيرة بمساعدة الدولتين على النهوض بعد الحرب، بل ذهبت الولايات المتحدة إلى إعادة تسليح ألمانيا وضمها للناتو عام 1955، وفي ظرف عقدين من الزمان أصبحت كل من اليابان وألمانيا من أقوى المراكز الاقتصادية العالمية.

إذن، على صانع القرار العراقي إرسال إشارات تأكيد واضحة -بما لا يدع مجالاً للتفسير والتأويل- تفيد بتبنيه خيار التحالف مع الولايات المتحدة واتخاذ الخطوات الكفيلة بإزالة أي شكوك لدى الجانب الأمريكي بشأن مصداقية الجانب العراقي. وعندها ستكون الولايات المتحدة مطالبة بالوفاء بوعودها بتقديم أشكال الدعم كافة الذي وعدت به قبل بدء الحوار الاستراتيجي، التي من شأنها تحويل العراق إلى حليف قوي يعتمد عليه.

9. Russia establishing permanent presence at its Syrian bases, Reuters, December 26,2017. www.reuters.com

هذا الدعم لن يكون مجاناً بالطبع، ولن يكون من باب الإيثار وإنكار الذات من جانب الولايات المتحدة، بل إنه من مقتضيات المصلحة الأمريكية في أن يكون العراق شريكاً قوياً للولايات المتحدة في الحفاظ على الاستقرار في الشرق الأوسط¹⁰.

السيناريو المظلم

في ظل ما تقدم لنا أن نتصور كيف سيكون رد الفعل الأمريكي في حال طلب العراق من الولايات المتحدة مغادرة أرضه. أولاً ستقوم الولايات المتحدة بجرمان العراق من أشكال الدعم الاقتصادي والعسكري خاصة، وسيصنف العراق على محور إيران، وسيكون سيناريو فرض عقوبات أمريكية على العراق وارد جداً¹¹، وعندها ستفاقم مشكلات العراق الاقتصادية والأمنية، وسيضطرب الوضع السياسي فيه نتيجة لرغبة السنة والأكراد ببقاء القوات الأمريكية¹²؛ الأمر الذي سيهدد وحدة العراق واستقراره؛ نتيجة احتمال مطالبة السنة بإقامة إقليم سني (لاستضافة القوات الأمريكية فيه)، مع احتمالية نشوب صراع في حال رفضت الحكومة المركزية أو ماطلت بإقامة الإقليم السني.

ومما سيضعف من خطورة هذا السيناريو أن تحدي الإرهاب ما يزال جدياً وقائماً، والهجمات التي تشنها جماعات داعش هنا وهناك بين الحين والآخر دليل واضح على ذلك¹³.

10. John Hannah , Maseh Zarif, ibid.

11. خير الدين المخزومي: العواقب الوخيمة للانسحاب الأمريكي من العراق، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، 3 شباط 2020 .

12. صوت البرلمان العراقي في 5 كانون الثاني 2020 على خروج القوات الأمريكية بغياب السنة والأكراد.

13. ديفيد بولوك: ثمانية أسباب لماذا ما تزال الولايات المتحدة والعراق بحاجة إلى بعضهما البعض، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، 9 كانون الثاني 2020.

نعم لقد اكتسبت القوات المسلحة العراقية خبرة هائلة خلال حرب تحرير المحافظات التي سيطر عليها داعش، إلا أنه لا يمكن إنكار حقيقة أن الدعم التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة كان عاملاً مهماً في كسب الحرب على داعش، فالطلعات الجوية الأمريكية كانت عاملاً حاسماً في الحرب حتى أن سير العمليات العسكرية وتقدمها اعتمد على الطلعات الجوية للتحالف الدولي الذي ساعدت فيه الولايات المتحدة بكثافة كانت السبب في نجاحه (أي التحالف) في دعم تقدم القوات العراقية على الأرض. وإن تسليح الجيش العراقي بالسلاح الأمريكي سيجعل من الحاجة إلى الولايات المتحدة في مجالات الصيانة والتدريب أمراً مفروغاً منه¹⁴.

البدائل

لا بد من طرح التساؤل مرة أخرى، هل يقوى العراق على الصمود في مواجهة السيناريو المذكور آنفاً؟ لا نضيف جديداً إذا قلنا: إن اقتصاد العراق الريعي واهن لدرجة أنه لا يستطيع تأمين رواتب موظفيه إذا انخفضت أسعار النفط دون 45 دولاراً للبرميل الواحد، وكلنا لمس تداعيات انخفاض أسعار النفط وجائحة كورونا على الاقتصاد العراقي. والحلول البديلة¹⁵ إما طويلة الأمد كتتنوع مصادر الدخل وتقليل الاعتماد على النفط وهذه على أهميتها في كل الأحوال إلا أنها لن تخفف من السيناريو المذكور؛ كونها بحاجة إلى سنوات طويلة وازادة سياسية لم تتوافر طيلة 17 عاماً على إنجازها، أو حلول قصيرة الأجل كالاقتراض الخارجي الذي سيضيف أعباءً جديدة على الاقتصاد العراقي أو اتباع سياسة تقشفية من نتائجها -فضلاً عن السخط الشعبي- حدوث كساد اقتصادي.

14. المصدر نفسه.

15. أحمد السهيل، معضلات اقتصادية تواجه العراق وأجور الموظفين على حافة الهاوية،

وسيقول بعضهم: إن التوجه إلى الصين، عظيم جداً وتفكير منطقي لا غبار عليه، وأن نوع من خيارات التحالف؛ وبالتالي كسب مزيد من هامش الحركة الخارجية، لكن، الصين وإن كانت تختلف عن الولايات المتحدة من حيث إنها لا تسعى إلى الوجود العسكري على أراضي حلفائها -في الوقت الراهن على الأقل- إلا أن الاقتراض منها يدعو إلى الحذر، فسجلها في أفريقيا وغرب آسيا لا يبشر بخير، فهي تقوم بإقراضك وتغرقك بالقروض إلى أن تتأكد من أنك لن تستطيع التسديد (ولن تستطيع)، ثم تقوم بالاستيلاء على أصول البلد الاستراتيجية نظير ديونها المستحقة، ولمن يريد التأكد فليقرأ عن دبلوماسية فخ الديون الصينية¹⁶. هذا مع الإشارة إلى أنه حتى الصين هذا المارد الاقتصادي العالمي قد تراجع النمو الاقتصادي فيها؛ بسبب العقوبات الاقتصادية والضرائب التي فرضتها الولايات المتحدة عليها. نعم حتى الصين تتأثر بالقرار الأمريكي وبهيمنة الدولار التي لا تقل تأثيراً عن هيمنة الولايات المتحدة العسكرية.

ولنفترض حسن النوايا لدى الصين واننا سنكون حذرين في الاقتراض منها. لكن، ماذا عن التحدي الأمني والحاجة إلى الدعم اللوجستي والإسناد الجوي إذا ما حدث المحذور وتكررت تجربة سقوط الموصل؟ الصين معنية في الوقت الراهن على الأقل ببناء إمبراطوريتها التجارية، وهي لم تغامر ولن تغامر بإرسال جندي واحد إلى أي من مناطق الصراعات حتى التي لها فيها مصالح؛ ولهذا استطاعت أن تمد مصالحها التجارية إلى أكثر المناطق سخونة في العالم، عبر الحفاظ على صورة التاجر المحايد الذي لا يدخل طرفاً في أي صراع حفاظاً على تجارته.

16. Jonathan W. Rosen: China must be stopped, Zambia Debates the Threat of Debt-Trap Diplomacy, world politics review, December 18, 2018.

<https://www.worldpoliticsreview.com/insights/27027/china-must-be-stopped-zambia-debates-the-threat-of-debt-trap-diplomacy>

ثم إن الميل تجاه الصين سيفعّل قواعد اللعبة الصفيرية في المنطقة¹⁷ ولاسيما في ظل التوتر بين الولايات المتحدة والصين؛ الأمر الذي سيجعل خطر المغامرة بمخاصمة الولايات المتحدة مضاعفاً؛ مما سيهدد مستقبل التحالف الدولي لمحاربة داعش في العراق في خطر، إذ إن بقاء هذا التحالف رهن بقاء الولايات المتحدة على رأسه، فهي أكبر المشاركين فيه وانسحابها منه يعني انفراطه وبقاء العراق وحيداً في مواجهة تهديد الإرهاب الذي لم يزل يطل برأسه بين الحين والآخر يتحجّن الفرصة المناسبة، واقتصاد هزيل في مواجهة أزمة اقتصادية طاحنة.

مخاوف إيرانية!

هناك سؤال مهم، ماذا عن مخاوف إيران من الوجود الأمريكي في العراق ونوايا الولايات المتحدة في تغيير النظام في إيران أو زعزعة استقرارها على الأقل؟ أولاً يجب ألا نبالغ في مخاطر الوجود الأمريكي على الأمن القومي الإيراني لعدة أسباب منها: أن الوجود الأمريكي في العراق لن يكون الوحيد في المنطقة، فالولايات المتحدة منتشرة عسكرياً في محيط إيران الإقليمي بدءاً من أفغانستان وانتهاءً بالخليج، وإذا قلنا إننا حلفاء لإيران، والأمر سيكون مختلفاً من وجهة النظر الإيرانية، إذن على الحليف أن يحترم قرار حليفه، ونحن أيضاً لنا هواجس أمنية تدفعنا إلى التحالف مع الولايات المتحدة. وتجربة سقوط الموصل وحدها كفيلاً بإقناع الجانب الإيراني بدوافع قرارنا بالتحالف مع الولايات المتحدة. ثم إن قطر -على سبيل المثال- التي تعد من حلفاء إيران في الوقت الراهن، تستضيف أكبر قاعدة أمريكية في الشرق الأوسط وقطر ليست ببعيدة جغرافياً عن إيران، فلماذا يغض الطرف عن الوجود الأمريكي في قطر، وتثار الشبهات والهواجس من الوجود الأمريكي في العراق؟

17. أما معنا أو ضدنا: بشأن الصين .. دول الخليج في خطر وأمريكا لن تتهاون، تقرير مترجم لمجلة ناشونال إنترست، الحرة

ثم إن اختيارنا التحالف مع الولايات المتحدة لا يعني بالضرورة التضحية بالعلاقات مع إيران إلا إذا اختارت إيران ذلك ولا نلظنها ستفعل، وإن كانت في حالة صراع مع الولايات المتحدة. فالعراق ليس السبب الوحيد للصراع الإيراني-الأمريكي، الصراع الإيراني-الأمريكي يعود إلى اندلاع الثورة الإسلامية في إيران عام 1979، وإلى قضايا واسعة ومتشعبة أوسع¹⁸ من وجود قوات أمريكية في العراق من عدمه. وإن يصوّر الوجود الأمريكي في العراق على أنه السبب الرئيس الذي أشعل فتيل الصراع الإيراني-الأمريكي؛ وبالتالي أن هذا الصراع سينتهي بمجرد خروج القوات الأمريكية من العراق، هو غاية في التبسيط وإنكار للأسباب الحقيقية للصراع الإيراني-الأمريكي. ثم إن التحالف مع الولايات المتحدة سيكون اختباراً لمئات العلاقات العراقية-الإيرانية، إذ إن إيران ستفهم دوافعنا وحاجتنا إلى التحالف مع الولايات المتحدة، ويفترض أنها ستحترم خيارنا وقرارنا السيادي الذي تمليه مصحلة العراق.

وإن مخرجات الحوار الاستراتيجي (طبيعة العلاقات العراقية-الأمريكية، وحجم الوجود العسكري الأمريكي، ومهام القوات الأمريكية في العراق) ستنظّم باتفاقيات علنية، وسترسل هذه الاتفاقيات إلى البرلمان العراقي لدراستها والتعديل على بنودها، ومن ثم التصويت على رفضها أو قبولها. فلا داعي لإثارة أي مخاوف بهذا الشأن، فلا شيء سيقع في الغرف المظلمة.

ماذا نريد من الجانب الأمريكي؟

الآن وقد شرعنا بالتفاوض مع الجانب الأمريكي وقد كوّننا هذه التصورات، فلا بد من السؤال الجوهرية: ماذا يريد العراق من الجانب الأمريكي؟ ينبغي الإشارة إلى أن التحالف مع دولة عظمى بإمكانات الولايات المتحدة وقدراتها فرصة يجب أن نحسن استغلالها، وأمثلة الدول التي استفادت من تحالفها مع الولايات المتحدة ليست بخافية على أحد.

18. تريتيا بارزي، حلف المصالح المشتركة، التعاملات السرية بين إسرائيل، وإيران، والولايات المتحدة، ترجمة: أمين الأيوبي، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت 2007).

أن من أهم ما يجب أن نركز فيه في الحوار الاستراتيجي هو الآتي:

أولاً: احترام سيادة العراق.

ثانياً: مساعدة العراق على بناء اقتصاد متنوع عبر إعادة بناء قطاعات الزراعة والصناعة والخدمات، فضلاً عن اقتصاد المعلومات، مما يساعد في تنويع مصادر الدخل، وتقليل اعتماد الاقتصاد العراقي على النفط. فدون اقتصاد قوي متنوع سيكون العراق رهينة لتقلبات أسواق النفط العالمية، ودون اقتصاد قوي متنوع لن نستطيع بناء جيش عصري وتعليم وصحة وغيرها من أسس الدولة القوية.

ثالثاً: المساعدة في بناء الجيش العراقي ودعمه بأنظمة تسليح استراتيجية حديثة.

رابعاً: المساعدة في تطوير قطاع التعليم والبحث والتطوير، عبر تبادل الخبرات، وإعطاء العراق حصصاً تفضيلية في مقاعد التعليم العالي في الجامعات الأمريكية.

خامساً: دعم العراق في المنظمات الدولية والمؤسسات المالية الدولية.

الفرصة الأخيرة وتحالف الضرورة

أن التحالف مع الولايات المتحدة ضرورة تملئها أوضاع العراق السياسية والاقتصادية والأمنية، ومحيطه الإقليمي؛ وبالتالي يشكل الحوار الاستراتيجي بين العراق والولايات المتحدة الفرصة التي يجب أن نحسن استغلالها، وأن ندرك جيداً أن طبيعة المتغيرات التي تمر بها المنطقة والعالم قد تجعل من التحالف والحوار سبيلاً للوصول إلى هذا التحالف مع الولايات المتحدة فرصة ذهبية قد لا تتكرر، وإن تكررت قد تكون بظروف أسوأ من الظروف -الدماء والدمار والتضحيات- التي صاحبت سقوط الموصل وتحريرها.

ويكفي للرد على الراضين للتحالف مع الولايات المتحدة (مع إقرارهم في قرارة أنفسهم بمزايا التحالف معها) أن نشير إلى أن الدول تتنافس على للتحالف مع الولايات المتحدة، فقد أعربت ألمانيا عن انزعاجها وقلق حكومتها من خطط الرئيس ترامب سحب 9500 جندي من القوات الأمريكية في ألمانيا¹⁹؛ لتسارع بولندا في الإعلان عن رغبتها في استضافتهم لتصاعد المخاوف البولندية من السياسات الروسية²⁰.

ختاماً، عند حساب مكاسب الطرفين من التحالف؛ وبالتالي حاجة كل منهما للآخر، لا بد من القول إن التحالفات وسيلة تلجأ إليها الدول لتعظيم قوتها. وعلى وفق نظرية الأحلاف الدولية وتجارب التاريخ، فإن تحالف دولة صغيرة مع قوة عظمى سيكون أكثر فائدة للدولة الصغيرة منه للقوى العظمى، ولتحقق من صدقية هذه النتيجة لنا أن نتساءل: ماذا سيضيف العراق إلى قوة الولايات المتحدة؟ وبالمقابل ماذا ستضيف الولايات المتحدة إلى قوة العراق؟ نعتقد أن الإجابة واضحة وتشكل دليلاً واضحاً على أهمية التحالف مع الولايات المتحدة، وضرورة استغلال فرصة الحوار الاستراتيجي، فلا بديل عن التحالف مع الولايات المتحدة سوى خصومتها التي ستكون باهظة جداً.

19. انظر تقرير رويترز بهذا الشأن:

U.S decision to withdraw troops from Germany unacceptable, Reuters, June 8 2020. www.reuters.com

20. بشأن رغبة بولندا استضافة القوات الأمريكية التي سيتم سحبها من ألمانيا انظر:

Alexandra Brozowski: Warsaw hopes to host some of the US troops withdrawn from Germany, euractive June 8 2020. www.euractive.com .